

الوجيز المختصر في تفسير سورة الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ
الْصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ
وَلَا الضَّالِّينَ
أَهْدِنَا
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ

جمع وترتيب /

فيصل مرجان



مقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. أما بعد:

فإن سورة الفاتحة هي أمّ القرآن، ومنبع الهدى، ونور السماء الذي خُصّت به هذه الأمة المحمدية دون سائر الأمم. هي أعظم سورة في كتاب الله، وأجلّها قدراً، وأعظمها أجراً، وأوسعها معنى. بها تفتتح الصلاة، وبها يقوم الدين، وعليها مدار الفهم الصحيح لعلاقة العبد بربه.

وقد رأيت أن أجمع في هذا الورقات المختصر الوجيز بين فضائل هذه السورة العظيمة وتفسيرها، جمعاً بين الصحة والسهولة، والعمق والوضوح، ليكون زاداً للمسلم في فهم أمّ القرآن، وتدبر معانيها، وترجمة دلالاتها إلى سلوك وعمل.

فبدأت ببيان فضائلها من خلال الأحاديث الصحيحة الصريحة الواردة في شأنها، ثم انتقلت إلى تفسيرها آيةً آيةً، مع وقفات تدبرية تخاطب القلب قبل العقل، وتبين أن الفاتحة ليست مجرد سورة تُقرأ، بل هي منهج حياة، وصلة دائمة بالله، ودستور جامع لأصول العلاقة بين العبد وربه: معرفة، وثناء، وإخلاصاً، واستعانةً، وطلباً للهداية.

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به من قرأه أو سمعه أو سعى في نشره، وأن يجعلنا جميعاً من أهل ﴿صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾.

اللهم تقبل منا إنك أنت السميع العليم، واغفر لنا يا الله يا حي يا قيوم إنك غفور رحيم ،
وهب لنا من لدنك رحمة تصلح بها أحوالنا كلها إنك أنت الوهاب.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فضل سورة الفاتحة.. أم القرآن ومنبع الهدى

الفاتحة.. تلك السورة التي هي أصل القرآن وجامعة معانيه ومقدمته.. ليست في التوراة ولا في الزبور ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثلها.. إنها نور لم يؤتته نبي قبل نبينا محمد ﷺ.. وهي رقية نافعة.. والصلاة لا تتم إلا بها..

فهي سورة مباركة.. كثيرة الفضائل.. عظيمة القدر.. جليلة المعاني.. واسعة الهدايات.. قد أحكمها الله تعالى غاية الأحكام.. وجعلها أعظم سورة في القرآن.. وفرضها على كل مسلم قادر على تلاوتها أن يقرأها في كل ركعة من صلاته.. وعظم ثواب تلاوتها.. وفي ذلك من دلائل فضلها.. وعظيم محبة الله تعالى لها.. والتنبيه على سعة معانيها وحاجة الناس إلى تلاوتها وتدبرها ما لا يخفى..

ومن الأحاديث الصحيحة الصريحة في فضلها

حديث أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه ..قال: كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله إني كنت أصلي؛ فقال: "ألم يقل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾" ..

ثم قال لي: "لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن، قبل أن تخرج من المسجد". ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج، قلت له: "ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن" قال: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ "هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته" .. رواه البخاري..

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه ..قال: قال رسول الله ﷺ: "أم القرآن هي السبع المثاني، والقرآن العظيم" .. رواه البخاري..

وحديث العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن أبي بن كعب ..قال: قال رسول الله ﷺ: "ألا أعلمك سورة ما أنزل في التوراة، ولا في الزبور، ولا في الإنجيل، ولا في القرآن مثلها؟" .. قلت: بلى.. قال: "فإني أرجو أن لا أخرج من ذلك الباب حتى تعلمها" ..

ثم قام رسول الله ﷺ؛ فقامت معه؛ فأخذ بيدي، فجعل يحدثني حتى بلغ قرب الباب، قال: فذكرته، فقلت: يا رسول الله، السورة التي قلت لي!.. قال: "فكيف تقرأ إذا قمت تصلي؟" .. قال: فقرأت فاتحة الكتاب، قال: "هي هي، وهي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيت بعد" ..

وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه ..قال: كان النبي ﷺ في مسير له فنزل ونزل رجل إلى جانبه؛ فالتفت إليه النبي ﷺ فقال: "ألا أخبرك بأفضل القرآن" قال: فتلا عليه ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ ..

وحديث عبد الله بن جابر البياضي الأنصاري رضي الله عنه ..قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وقد أهرق الماء، فقلت: السلام عليك يا رسول الله؛ فلم يرد علي، فقلت: السلام عليك يا رسول الله؛ فلم يرد علي؛ فانطلق رسول الله ﷺ يمشي، وأنا خلفه، حتى دخل رحله، ودخلت أنا إلى المسجد؛ فجلست كئيба حزينا؛ فخرج علي رسول الله ﷺ قد تطهر، فقال: "عليك السلام ورحمة الله، وعليك السلام ورحمة الله، وعليك السلام ورحمة الله" ..

ثم قال: "ألا أخبرك يا عبد الله بن جابر بخير سورة في القرآن؟" .. قلت: بلى يا رسول الله .. قال: "اقرأ ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ حتى ختمها .."

وحديث ابن عباس رضي الله عنهما ..قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ، سمع نقيضا من فوقه، فرفع رأسه، فقال: "هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم" فنزل منه ملك، فقال: "هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم"؛ فسلم وقال: "أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته" .. رواه مسلم ..

وقوله: "لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته" فسّر بعض العلماء الحرف بكل كلمة فيها طلب نحو "اهدنا" و"غفرانك"، و"اعف عنا"، ولعل الأظهر عموم حروفها؛ كما فسّره حديث أبي هريرة مرفوعا: "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي.." الحديث؛ فكل جملة طلبية عطاؤها الإجابة، وكل جملة خبرية عطاؤها ذكر الله وإثابته ..

وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ..قال: انطلق نفر من أصحاب النبي ﷺ في سفر سافروها، حتى نزلوا على حي من أحياء العرب؛ فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم، فلدغ سيد ذلك الحي، فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء، فقال بعضهم: لو أتيتهم هؤلاء الرهط الذين نزلوا، لعله أن يكون عند بعضهم شيء؛ فأتوهم، فقالوا: يا أيها الرهط إن سيدنا لدغ، وسعينا له بكل شيء لا ينفعه، فهل عند أحد منكم من شيء؟

فقال بعضهم: نعم، والله إني لأرقي، ولكن والله لقد استضافناكم فلم تضيفونا؛ فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا، فصالحوهم على قطيع من الغنم؛ فانطلق يتفل عليه، ويقرأ: ﴿الحمد لله رب العالمين..﴾؛ فكأنما نشط من عقال؛ فانطلق يمشي وما به قلبة، قال: فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه؛ فقال بعضهم: اقسموا؛ فقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتي النبي ﷺ؛ فنذكر له الذي كان؛ فننظر ما يأمرنا؛ فقدموا على رسول الله ﷺ فذكروا له؛ فقال: "وما يدريك أنها رقية؟" ..!!

ثم قال: "قد أصبتم، اقسموا، واضربوا لي معكم سهاما" فضحك رسول الله ﷺ .. متفق عليه ..

وحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه .. أن رسول الله ﷺ قال: "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب" متفق عليه..

والأحاديث في الأمر بقراءة الفاتحة في الصلاة متواترة عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم..

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه .. عن النبي ﷺ قال: "من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج" ثلاثا غير تمام.. ف قيل لأبي هريرة: إنا نكون وراء الإمام؟ فقال: "اقرأ بها في نفسك"؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿الرحمن الرحيم﴾، قال الله تعالى: أثني علي عبدي، وإذا قال: ﴿مالك يوم الدين﴾، قال: مجدني عبدي - وقال مرة فوض إلي عبدي - فإذا قال: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبي ما سأل، فإذا قال: ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ قال: هذا لعبدي ولعبي ما سأل" .. رواه مسلم..

وحديث ابن عباس رضي الله عنهما .. أن نفرا من أصحاب النبي ﷺ مروا بماء، فيهم لديهم أو سليم، فعرض لهم رجل من أهل الماء، فقال: هل فيكم من راق، إن في الماء رجلا لديغا أو سليما، فانطلق رجل منهم، فقرأ بفاتحة الكتاب على شاء، فبرأ، فجاء بالشاء إلى أصحابه، فكرهوا ذلك وقالوا: أخذت على كتاب الله أجرا، حتى قدموا المدينة، فقالوا: يا رسول الله، أخذ على كتاب الله أجرا، فقال رسول الله ﷺ: "إن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله" .. رواه البخاري..

وحديث عامر بن شراحيل الشعبي، عن خارجة بن الصلت، عن عمه .. قال: أقبلنا من عند النبي ﷺ، فأتينا على حي من العرب، فقالوا: نبئنا أنكم جئتم من عند هذا الرجل بخير، فهل عندكم دواء أو رقية؟ فإن عندنا معتوها في القيود.. قال: فقلنا: نعم..

قال: فجاءوا بالمعتوه في القيود، قال: فقرأت بفاتحة الكتاب ثلاثة أيام غدوة وعشية، أجمع بزاق، ثم أتفل، قال: فكأنما نشط من عقال قال: فأعطوني جعلاً، فقلت: لا، حتى أسأل النبي ﷺ، فسأله فقال: "كل لعمرى من أكل برقية باطل لقد أكلت برقية حق" .. رواه الإمام أحمد..

وأثر ابن جريج، عن أبيه، عن سعيد بن جبير .. قال: سألت ابن عباس عن قوله: ﴿ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم﴾ قال: "هي أم القرآن، استثنى الله عز وجل لأمة محمد ﷺ فذكرها لهم، حتى أخرجها لهم، ولم يعطها أحدا قبل أمة محمد ﷺ" .. قال سعيد: "ثم قرأها ابن عباس، وقرأ فيها ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾" ..

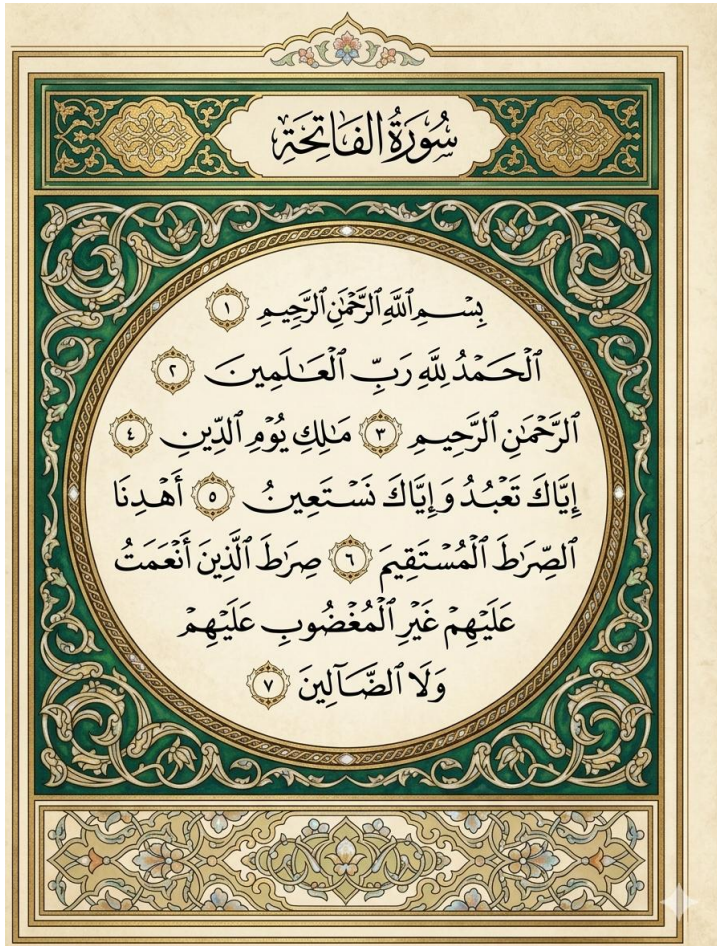
هكذا تتجلى الفاتحة.. أمّ القرآن.. ومنبع الهدى.. ونور السماء.. ورقية الأرواح والأبدان..
إنها ليست مجرد سورة نقرأها في الصلاة.. بل هي دستور حياة.. ومنهاج عبادة.. وسبيل
نجاة.. فيها يلتقي العبد بربه.. وفيها يعرف من هو.. ولماذا خُلق.. وإلى أين المصير..
﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾.. يا لها من دعوة.. تختصر رحلة الإنسان كله.. من الظلمات
إلى النور.. ومن الضلال إلى الهدى.. ومن العبودية للأصنام إلى العبودية لله الواحد
القهار..

فتدبّر.. يا من تقرأ الفاتحة في كل ركعة.. ماذا تقول.. ولمن تقول.. وكيف تقول..

تفسير سورة الفاتحة

{بسم الله} المراد بالبسملة أن العبد مأمور إذا افتتح تلاوة كتاب الله أو شرع في أي عمل أن يقول "بسم الله" تبركاً واستعانة بالله تعالى، وتقديماً لاسمه على أول العمل ليكون مباركاً، وفيه معنى الاستنجاد بالله والارتباط به من أول وهلة؛ وأما اسم {الرحمن الرحيم}

ف {الرحمن} اسم خاص بالله لا يسمى به غيره، يدل على شدة الرحمة واتساعها وعمومها لجميع الخلق في الدنيا، وأما {الرحيم} فقد يوصف به البشر، ويدل على إيصال الرحمة إلى العباد وخصوصها بالمؤمنين في الآخرة؛ فكأنه سبحانه جمع بين الصفتين إيذاناً بأن رحمته عامة في الدنيا وخاصة بأوليائه في العقبى وأما حكم البسملة فجمهور المحققين على أنها آية من الفاتحة عند بعضهم، وآية



مستقلة للفصل بين السور عند آخرين، وثبت في الصحيح أن النبي ﷺ كان يقرأها في صلاته جهرًا أحياناً وإسراً أحياناً، ومن الحكمة في افتتاح القرآن بالبسملة الإيذان بأن هذا الكتاب صادر عن رحمة رب العالمين، وليكون تذكيراً للعبد بربه عند كل شروع فيعمل، فيخلص نيته ويستصحب بركة الاسم الكريم، وبهذا يتبين أن معنى "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ

الرَّحِيم " : أبدأ متبركاً مستعيناً بالله الذي هو الإله الجامع لصفات الكمال، رحمن الدنيا ورحيم الآخرة، أسأله العون والتوفيق والبركة^١.

تفسير قول الله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} ٢ {الحمد لله}: أن الثناء الكامل بجميع أنواعه -باللسان والقلب والجوارح- مستحق لله وحده دون سواه، لأنه الفاعل للجميل الاختياري، وله صفات الكمال كلها. والفرق بين الحمد والشكر أن الحمد أعم وأشمل، يقع على الصفات والأفعال، بينما الشكر لا يكون إلا على الأفعال.

وتعريف "الحمد" باللام يفيد الحصر والاختصاص، كأن العبد يقول: كل حمد لله وحده لا شريك له، ومعنى {رب العالمين}: أن الله سبحانه هو المالك المدبر المربي لجميع خلقه، من إنس وجن وملائكة وحيوانات ونبات وجمادات وأفلاك، بنعمه الظاهرة والباطنة، من أول وجودهم إلى أن يكتمل خلقهم ونظامهم. فالربوبية شاملة لكل شيء بالخلق والرزق والتدبير.

وبهذا تجتمع الآية على حقيقتين عظيمتين: الأولى: أن الله هو المستحق للحمد لذاته وصفاته. الثانية: أن الله هو الخالق المدبر لجميع العوالم. وهي فاتحة كتابه لتكون افتتاحاً لشكره وحمده، وهي أول ما ينطق به أهل الجنة كما صح عن النبي ﷺ.

تفسير قول الله تعالى: {الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} ٣ أن الله سبحانه متصف بصفة الرحمة العظيمة، وقد ذكر هذين الاسمين بعد "رب العالمين" ليبين أن ربوبيته وتديره لخلقه مقترنة برحمته، فهو يربيههم بالرحمة لا بالجبروت وحده. والرحمن والرحيم بناءان للمبالغة، والفرق بينهما متعدد الوجوه في كلام المفسرين.

١ المصادر: الطبري (١:١٤٠)، الزمخشري (١:١٢)، ابن عطية (١:٤٥)، الرازي (١:٢١٠)، القرطبي (١:١٥٠)، ابن كثير (١:٢٥)، الشوكاني (١:٣٠)، الألوسي (١:٩٥)، السعدي (١:٢٥)، سيد قطب (١:١٨)، الشعراوي (١:١٠).

٢ الطبري (١:١٦٠)، الزمخشري (١:٢٥)، ابن عطية (١:٥٥)، الرازي (١:٢٦٠)، القرطبي (١:١٨٠)، ابن كثير (١:٣٥)، الشوكاني (١:٤٥)، الألوسي (١:١٢٠)، السعدي (١:٣٠)، سيد قطب (١:٢٨)، الشعراوي (١:١٨). والله أعلم.

٣ المصادر: الطبري (١:١٨٠)، الزمخشري (١:٣٨)، ابن عطية (١:٦٠)، الرازي (١:٣٠٠)، القرطبي (١:٢٠٠)، ابن كثير (١:٤٢)، الشوكاني (١:٥٠)، الألوسي (١:١٣٥)، السعدي (١:٣٢)، سيد قطب (١:٣٢)، الشعراوي (١:٢٢).

من هذه الفروق أن {الرحمن} اسم خاص بالله لا يسمى به غيره، ويدل على كثرة الرحمة وعظمتها واتساعها، فهو الذي وسعت رحمته كل شيء في الدنيا والآخرة، وهو صفة ذات أي أن الرحمة قائمة به سبحانه. وأما {الرحيم} فيجوز أن يوصف به البشر، ويدل على إيصال الرحمة إلى الخلق وخصوصها بالمؤمنين، فهو الذي يرحم من يشاء من عباده ويثيبهم عليها، وهو صفة فعل أي أن رحمته تنزل على خلقه كل لحظة.

وقد كرر الله الاسمين لإفادة التأكيد والمدح، ولأن الرحمن أبلغ من الرحيم فجمع بينهما لإفادة النهاية في وصف الرحمة. فتأمل كيف أخبر أولاً أنه متصف بالرحمة (الرحمن)، ثم أخبر أنه فاعل لها يصلها إلى خلقه (الرحيم).

وبهذا يتبين أن الله سبحانه رحمته وسعت كل شيء تربية وتديراً وإحاطة، وهي تنزل بالعباد كل لحظة، فمن أيقن أن الله هو الرحمن الرحيم اطمأن قلبه، وعلم أن من يرحمه هو الله. والله أعلم.

كامل خلقهم ونظامهم. فالربوبية شاملة لكل شيء بالخلق والرزق والتدبير. وبهذا تجتمع الآية على حقيقتين عظيمتين: الأولى: أن الله هو المستحق للحمد لذاته وصفاته. الثانية: أن الله هو الخالق المدبر لجميع العوالم. وهي فاتحة كتابه لتكون افتتاحاً لشكره وحمده، وهي أول ما ينطق به أهل الجنة كما صح عن النبي ﷺ. والله أعلم.

• **وقفة تدبرية:** جمع الله بين "رب العالمين" و"الرحمن الرحيم" ليجتمع في قلب العبد

الخوف من الربوبية والرجاء في الرحمة، فهذا هو التوازن النفسي الذي يعيش به

المؤمن

تفسير قول الله تعالى: {مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ}؛ معنى الآية أن الله سبحانه هو المالك الحقيقي ليوم القيامة، يوم الحساب والجزاء، وله السلطان المطلق فيه وحده دون سواه. ويوم الدين هو اليوم الذي يدان فيه الناس، أي يحاسبون ويجازون بأعمالهم خيرها وشرها، وفيه يظهر ملك الله جل جلاله إذ يزول ملك كل مالك إلا ملكه، ويقول: {لمن الملك اليوم؟ لله الواحد القهار}.

وقد وردت القراءتان المشهورتان: "مالك" بالألف، و"ملك" بغير ألف، وكلاهما صحيح حسن. فمن قرأ "مالك" فالمعنى أنه المالك لذلك اليوم على سبيل الحصر والاختصاص، ومن قرأ "ملك" فالمعنى أنه المالك المتصرف بلا منازع، وقيل إن "مالكا" أبلغ في الحصر، وقيل إن "ملكا" أعظم، والأفضل الجمع بينهما في المعنى، فالله سبحانه هو الملك المالك لذلك اليوم.

وذكر هذا اليوم العظيم بعد ذكر {الرحمن الرحيم} ليجتمع الخوف والرجاء في قلب العبد، فهو الذي يطلب رحمته ويخاف حسابه، فيضبط السلوك ويوقظ الضمير، ويعلم أن الله هو الحاكم العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة، وفيه إثبات للبعث والجزاء الذي هو ركن من أركان الإيمان.

• **وقفة تدبرية:** هذه الآية هي أعظم آية في السورة، لأن العبد فيها يقر بأن الله هو المستحق للعبادة وحده، وأنه لا حول له ولا قوة إلا بالله، وهذا هو جوهر الإسلام .

• **تفسير قول الله تعالى: {أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}**؛ معنى الآية أن العبد يسأل ربه الدلالة والإرشاد إلى الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، مع التوفيق والثبات عليه حتى الممات، وزيادة الهداية في كل لحظة. والهداية المطلوبة هنا ليست مجرد الدلالة

٤ الطبري (١:٢٠٠)، الزمخشري (١:٤٥)، ابن عطية (١:٦٥)، الرازي (١:٣٥٠)، القرطبي (١:٢٢٠)، ابن كثير (١:٤٨)، الشوكاني (١:٥٨)، الألوسي (١:١٥٠)، السعدي (١:٣٥)، سيد قطب (١:٣٨)، الشعراوي (١:٢٨). والله أعلم.

٥ الطبري (١:٢٦٠)، الزمخشري (١:٦٠)، ابن عطية (١:٧٥)، الرازي (١:٤٥٠)، القرطبي (١:٢٧٠)، ابن كثير (١:٦٢)، الشوكاني (١:٧٢)، الألوسي (١:١٨٠)، السعدي (١:٤٠)، سيد قطب (١:٥٠)، الشعراوي (١:٤٢). والله أعلم.

على الطريق، بل هي هداية التوفيق والإلهام والثبات، لأن العبد كلما ازداد علماً وعبادة
ازداد احتياجاً إلى هداية الله.



والصراط المستقيم هو الطريق الواضح الموصل إلى الله وإلى جنته، وهو دين الإسلام، وكتاب الله، وسنة نبيه ﷺ، وما عليه النبي وأصحابه من العلم النافع والعمل الصالح. قالوا: وقد تكفل الله بالهداية العامة لجميع الخلق بدلالته على وجوده، وهذه الهداية الخاصة التي لا يحصل عليها إلا أهل الطاعة يسألها المؤمن في كل ركعة من صلاته، وإنما كرر العبد طلب الهداية في كل صلاة لأنه معرض للزلل في كل وقت، فجاء الدعاء بصيغة الاستمرار "اهدنا" ليبقى العبد ملازماً لربه طالباً منه الثبات والزيادة، فمن عاش على

الهداية مات عليها. وهذه الآية تتضمن طلب العلم النافع والعمل الصالح والثبات على الحق، وهي أجل نعمة يسألها العبد من ربه.

- **وقفة تدبرية:** طلب الهداية يتكرر في كل ركعة من الصلاة، لأن الإنسان في حاجة دائمة إلى ربه ليثبتته على الطريق، فلا يغتر بعمله أبداً.

• تفسير قول الله تعالى:

{صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ}٦ إذا جمعنا أقوال المفسرين في هذه الآية الكريمة، وردناها إلى أصل واحد جامع نافع، قلنا: هذه الآية هي تمام قوله {اهدنا الصراط المستقيم}، فبين العبد ما هو هذا الصراط الذي سأل ربه هدايته. فقال {صراط الذين أنعمت عليهم} وهم الذين جمعوا بين العلم النافع والعمل الصالح، وهم المذكورون في قوله تعالى: {فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين}، فهم الطريق المستقيم الموصل إلى الله وإلى جنته؛ ثم استعاذ العبد وطلب من ربه أن يجعله غير طريق {المغضوب عليهم} وهم الذين عرفوا الحق وتركوه عن علم وعناد، وهم اليهود ومن سار على طريقهم، فاستحقوا غضب الله وعقابه. وغير طريق {الضالين} وهم الذين تركوا الحق عن جهل وضلال، وهم النصارى ومن سار على طريقهم، فخرجوا عن الصراط لا عن قصد منهم بل عن ضلال وجهل. وهكذا تبين الآية أن طرق الناس في الهدى ثلاثة: طريق المنعم عليهم وهم أهل العلم والعمل، وطريق المغضوب عليهم وهم أهل العلم بلا عمل، وطريق الضالين وهم أهل العمل بلا علم أو الجهل بالحق رأساً. وسأل العبد أن يجعله من الأولين، لا من الآخرين. وقد فسر النبي ﷺ ذلك في الأحاديث الصحيحة، فقال: "اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون". وليس المراد كل فرد من اليهود والنصارى، بل من اتصف بصفاتهم من الغضب على علم والضلal عن جهل في كل أمة وفي كل زمان.

٦ الطبري (١:٢٩٠)، الزمخشري (١:٦٨)، ابن عطية (١:٨٠)، الرازي (١:٥٠٠)، القرطبي (١:٣٠٠)، ابن كثير (١:٧٠)، الشوكاني (١:٨٠)، الألوسي (١:٢٠٠)، السعدي (١:٤٢)، سيد قطب (١:٥٨)، الشعراوي (١:٥٠).

وقفة تدبرية مع آية {غير المغضوب عليهم ولا الضالين}

تأمل معي هذه الآية العجيبة، إنها تحدد لنا خريطة طريق، الطريق الصحيح نسلكه، وطريقان لا نسلكهما؛ وأول ما تلمسه في الآية، أنها تبدأ بذكر أهل الخير {الذين أنعمت عليهم} قبل أن تحذرك من غيرهم؛ هذا هو الطريق، لكن انتبه من طريقين آخرين؛ أليس هذا من لطف الله بنا؟ يعطينا الأمل قبل التحذير؛ ثم لاحظ أن الله قدم ذكر {المغضوب عليهم} على {الضالين} لماذا؟ لأن المغضوب عليهم يعرفون الطريق لكنهم تركوه عناداً، أما الضالون فلم يعرفوه أصلاً. والأول أخطر والثاني أجهل. فمن كان عالماً ثم ترك الحق، جرمه أعظم ممن كان جاهلاً. ولهذا قال الرازي: "ترك الحق بعد علمه أسوأ."



الآن تأمل معي أصناف الناس الثلاثة الذين تحدثت عنهم الآية:

❖ **الصنف الأول:** المنعم عليهم: هؤلاء جمعوا بين العلم والعمل، عرفوا طريق الله وساروا فيه بقلوبهم وجوارحهم. حياتهم نور، وقلوبهم مطمئنة.

❖ **الصنف الثاني:** المغضوب عليهم؛ هؤلاء عندهم علم لكن لا عمل معه. يعرفون الحق لكنهم لا يتبعونه. مثل رجل يعرف الدواء ولا يتناوله، فيمرض ويهلك. علمهم حجة عليهم لا لهم.

❖ **الصنف الثالث:** الضالون. هؤلاء عندهم اجتهاد وعبادة لكن على غير علم. يتعبدون بلا فقه، كمن يمشي بسرعة لكن في طريق خطأ، كلما أسرع كلما ابتعد عن الهدف. ما أجمل فقه الدعاء في هذه الآية! العبد هنا لا يطلب الهداية فقط، بل يطلب أن يبعد عن هذين الطريقتين المظلمين؛ وكأنه يقول: يا رب أرني الطريق، وأعني على سلوكه، ولا تتركني للانحراف يوماً واحداً.

ثم تأمل ختام الفاتحة بهذه الآية: بدأت السورة بـ "الرحمن الرحيم" رحمة، وختمت بهذا التحذير رحمة أيضاً، لكنها رحمة تأتي بعد الجد والاجتهاد. فليس كل من تمنى الجنة دخلها، بل من عرف الطريق وسلكه.

وأخيراً: سؤال يهمس في أذنك كلما قرأت هذه الآية: هل أنت من المنعم عليهم؟ أم فيك شبه من المغضوب عليهم أو الضالين؟ فإن وجدت في نفسك علماً بلا عمل، فتب؛ وإن وجدت عملاً بلا علم، فتعلم. وإن وجدتهما معاً، فاحمد الله واسأله الثبات.

الفاتحة كلها خير، وهذه الآية خاتمها وزينتها. من فهمها، فهم دينه كله. ومن عاش بها، عاش في نور.

{اللهم اجعلنا من أهل {الذين أنعمت عليهم} آمين.

وهكذا تكون فاتحة الكتاب قد رسمت للمؤمن عقيدته (في توحيد الله وصفاته)، وعبادته (في إخلاص العبادة والاستعانة)، وسلوكه (في طلب الهداية الصحيحة والحذر من الانحراف)، فهي أم القرآن وأعظم سورة في كتاب الله، والله أعلم.

خلاصة سورة الفاتحة:

منهج حياة وصلة دائمة بالله

ليست سورة الفاتحة مجرد سورة قصيرة يفتح بها المسلم صلاته، ولا كلمات يرددها بلسانه في اليوم والليلة، وإنما هي خلاصة جامعة لمعاني الإيمان، وأصول العقيدة، ومقاصد العبادة، ومنهج الحياة الذي ينبغي أن يسير عليه الإنسان في علاقته بربه، وفي نظرته إلى الكون، وفي تعامله مع نفسه ومع الآخرين. إنها سورة قليلة الآيات، عظيمة المعاني، كأنها تجمع للإنسان حقيقة وجوده، وتعرفه بربه، وتكشف له الطريق الذي ينبغي أن يسلكه، والمصير الذي يجب أن يستعد له.

يبدأ المسلم فاتحاً قلبه قبل لسانه بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. وهنا يتعلم الإنسان أن الحمد كله لله؛ لأنه الخالق والمالك والمدبر، ولأن كل نعمة يعيشها الإنسان إنما هي من فضله ورحمته. فالإنسان لم يخلق نفسه، ولم يختر زمن ولادته، ولا يملك وحده أسباب حياته ورزقه، وإنما يعيش في كون أوجده الله بحكمته، وأحاطه بعنايته، وأجرى فيه سننه. ومن ثم، فإن الحمد ليس مجرد كلمة تقال عند الفرح، بل هو نظرة شاملة إلى الحياة، تجعل المؤمن يرى آثار رحمة الله في النعم التي يعرفها، وفي النعم التي قد يغفل عنها، بل حتى في بعض الابتلاءات التي لا يدرك حكمته إلا بعد حين.

ثم تأتي صفة الربوبية في قوله تعالى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، لتؤكد أن الله ليس خالق الكون فحسب، بل هو ربه الذي يتولى أمره ويدبر شؤونه. وهذه الحقيقة تمنح القلب الطمأنينة؛ لأن الإنسان حين يعلم أن له رباً حكيمًا رحيماً، لا يعيش في هذا الوجود متروكاً للضياح، ولا يواجه تقلبات الحياة وحده، وإنما يلجأ إلى رب يعلم ضعفه، ويسمع دعاءه، ويعلم ما يصلحه وما يضره.

ثم ينتقل القلب إلى رحمة الله في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. فالرحمة ليست معنى هامشيًا في علاقة الله بخلقه، وإنما هي من أعظم المعاني التي يتعرف بها العبد إلى ربه. إن

الله يفتح أبواب التوبة، ويقبل رجوع المذنب، ويمنح الإنسان فرصًا جديدة للإصلاح، ولا يغلق باب الرجاء في وجه من عاد إليه صادقًا. وهكذا يتوازن قلب المؤمن بين تعظيم الله والرجاء في رحمته؛ فلا يغتر بعمله، ولا يقنط من ذنبه، بل يسير إلى الله بقلب يخاف تقصيره ويطمع في مغفرته.

وبعد الحديث عن الربوبية والرحمة، تأتي الآية التي توقظ الإنسان من غفلته، وتضع أمامه حقيقة المصير: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. فالدنيا، مهما امتدت أيامها، ليست نهاية الرحلة، والحياة، مهما ازدانت بمباهجها، ليست كل الحكاية. هناك يوم يقف فيه الإنسان بين يدي الله، ويحاسب على أعماله، ويجد ما قدمت يداه. وهذه الحقيقة تمنح الحياة معناها الأخلاقي؛ إذ لا تستوي عند المؤمن الأمانة والخيانة، ولا العدل والظلم، ولا الإحسان والإساءة، لأن وراء هذه الحياة حسابًا، ووراء الأعمال جزاء، ولأن الحقوق التي تضيع في الدنيا لا تضيع من علم الله وعدله.

وعندما يستحضر العبد هذه المعاني، ينتقل من المعرفة إلى العبودية، ومن الإيمان النظري إلى الالتزام العملي، فيقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. وهذه الآية تمثل قلب السورة ومحورها العظيم؛ ففيها يعلن الإنسان أن العبادة حق لله وحده، وأنه لا يجعل غايته العليا إلا رضاه، ولا يصرف عبادة قلبه وجوارحه إلا له. والعبادة ليست محصورة في الصلاة والصيام وسائر الشعائر، وإن كانت من أعظم صورها، بل تشمل كل عمل صالح يقصد به الإنسان وجه الله، ويلتزم فيه بما شرعه، من صدق في القول، وإتقان في العمل، وعدل في الحكم، ورحمة بالضعيف، وأداء للأمانة.

أما الاستعانة بالله، فهي اعتراف صادق بحدود القدرة البشرية. فالإنسان قد يعرف الخير ولا يستطيع بلوغه وحده، وقد يرغب في الطاعة ثم تعترضه الشهوات والضعف، وقد يواجه من الأزمات ما تضيق به نفسه. وهنا يتعلم أن يأخذ بالأسباب، ويبذل جهده، ثم يستمد العون من الله؛ فلا يتكل على قوته وحدها، ولا يستسلم للعجز، وإنما يجمع بين العمل والتوكل، وبين السعي والدعاء.

ثم تأتي أعظم مطالب السورة وأشدّها اتصّالاً بحياة الإنسان :﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ . فالهداية ليست حاجة تنتهي بمجرد معرفة الحق، وإنما هي حاجة متجددة ما دام الإنسان حيًّا. إنه يحتاج إلى الهداية ليعرف الحق من الباطل، والخير من الشر، ويحتاج إليها ليثبت على الحق إذا عرفه، وليعمل به إذا آمن به، وليصبر عليه إذا واجه الصعوبات. وكم من إنسان عرف الطريق ثم انحرف عنه، وكم من إنسان امتلك العلم ولكنه افتقد البصيرة التي تقوده إلى العمل الصالح! ولذلك يكرر المسلم هذا الدعاء في صلاته، معلّنًا فقره الدائم إلى هداية الله وتوفيقه.

ويبين القرآن أن هذا الصراط هو طريق الذين أنعم الله عليهم، لا طريق من عرفوا الحق ثم أعرضوا عنه، ولا طريق من ضلوا عنه وفقدوا بصيرته. وبذلك تختم الفاتحة دعاءها بتحديد الوجهة، فلا يطلب المؤمن مجرد النجاح الدنيوي، ولا يجعل السعادة في كثرة المال أو الجاه أو متاع الحياة وحده، وإنما يطلب طريقًا مستقيمًا يجمع له صلاح القلب والعمل، ويقوده إلى رضا الله والفوز في الآخرة.

ومن هنا نفهم لماذا جعل الله سورة الفاتحة ركنًا أساسيًا في الصلاة، تتكرر في اليوم والليلة؛ فالإنسان ينسى، وتستغرقه مشاغل الحياة، وتتنازعه الرغبات والمخاوف، وتضعف عزيمته أمام الفتن. فتأتي الفاتحة لتعيده إلى مركز حياته، وتردّه إلى الحقيقة الكبرى: أن الله ربه، وأنه عبده، وأنه مسؤول عن عمله، وأنه لا غنى له عن الهداية والاستعانة بالله.

وهكذا تصبح الفاتحة أكثر من تلاوة محفوظة؛ تصبح عهدًا يجدده المسلم في كل صلاة، ومنهجًا يصحح به وجهته، وميزانًا يراجع به أعماله ونياته. فإذا قال: "الحمد لله"، استحضر النعمة وشكر المنعم، وإذا قال: "إياك نعبد"، راجع إخلاصه وصدق طاعته، وإذا قال: "إياك نستعين"، اعترف بضعفه ولجأ إلى ربه، وإذا قال: "اهدنا الصراط المستقيم"، جدد عزمه على اتباع الحق والثبات عليه.

إن سورة الفاتحة خلاصة القرآن لأنها تجمع أصول العلاقة بين الإنسان وربه: معرفةً بالله، وثناءً عليه، وإقرارًا بملكه، وإخلاصًا للعبادة، واستمدادًا للعون، وطلبًا

للهداية .وهي بهذا المعنى ليست مقدمة للقرآن فحسب، بل مفتاح لفهم رسالته، وبوصلة لحياة المؤمن، ونداء متجدد يوقظ القلب كلما غفل، ويقوده إلى الله كلما تاهت به السبل. ومن أدرك معانيها حقًا، لم يعد يقرأها بلسانه وحده، بل قرأها بقلبه، وترجمها بسلوكه، وجعلها أساسًا لحياته حتى يلقي الله. ؛ والله أعلم.



التَّوْحِيدُ الرَّجَاءُ الْخَوْفُ الْعُبُودِيَّةُ التَّوَكُّلُ الْهَدَايَةُ الْوَلَاءُ الْبِرَاءُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ
الْعَالَمِينَ



الرَّحْمَنُ
الرَّحِيمُ



مَالِكِ
يَوْمِ
الدِّينِ



إِيَّاكَ
نَعْبُدُ



وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ



اهْدِنَا
الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ



صِرَاطَ الَّذِينَ
أَنْعَمْتَ
عَلَيْهِمْ



غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ
وَلَا الضَّالِّينَ



الْفَاتِحَةُ خُلَاصَةُ الْقُرْآنِ

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

البُوصَلَةُ الرُّوحِيَّةُ لِلْإِنْسَانِ

الفاتحة خلاصة جامعة لأصول الإيمان، ومنهجٌ يجدد صلة الإنسان بربه، ويوجه قلبه نحو الصراط المستقيم.

مَعَانِي الْفَاتِحَةِ وَمَقَاصِدُهَا

١. الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الاعترافُ بالربوبية

يبدأ المؤمن بمعرفة ربه والثناء عليه، مستحضراً أن الخلق والملك والتدبير لله، وأن النعم من فضله؛ فيتعلم الشكر والتواضع وحسن التوكل.

٢. الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ

الرَّجَاءُ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ

توقظ الصفتان الرجاء وتفتحان باب التوبة والإصلاح؛ وتعلمان ألا يقنط المرء من رحمة الله، وألا يغتر بعمله.

٣. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ

استحضارُ المصيرِ والمسؤولية

يذكر يوم الدين بأن الحياة ليست نهاية الرحلة، وأن الأعمال موضع حساب؛ فيستقيم السلوك، وترسخ قيم العدل والأمانة والإحسان.

٤. إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

إِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ وَطَلَبُ الْقَوْنِ

يجدد المؤمن إخلاصه لله، ويقر بحاجته الدائمة إلى عونهِ؛ فيجمع بين العمل والأخذ بالأسباب، وبين السعي والتوكل.

رَحْلَةُ الْقَلْبِ وَالْهَدَايَةِ

١. الْهَدَايَةُ: مَسَارٌ لَا مَحْطَةَ

الهداية حاجة متجددة ترافق الإنسان في رحلته؛ يسأل الله أن يعرفه الحق، ويوفقه لاتباعه، ويثبت عليه.

٢. تَجْدِيدُ الْوُجْهَةِ

تتكرر الفاتحة في الصلاة فتوقظ القلب من الغفلة، وتعيد توجيه الإنسان نحو غايته، وتجدد وعيه بعبوديته وحاجته للهداية.

٣. الاسْتِعَانَةُ وَالطَّمَأْنِينَةُ

يدرك الإنسان حدود قوته، فيلجأ إلى ربه ويأخذ بالأسباب، ويواصل السعي بقلب يجمع بين الثقة بالله وتحمل المسؤولية.

٤. الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ

غاية المؤمن طريق الحق، مقتدياً بمن أنعم الله عليهم، طالباً الهداية والثبات، ومترجماً إيمانه إلى عمل صالح وسلوك مستقيم.

مَسَارُ الْحَيَاةِ نَحْوَ الْهَدَايَةِ

تَجْدِيدُ مُسْتَمِرٍّ لِلْوُجْهَةِ

الْفَاتِحَةُ بُوصْلَةُ الْقَلْبِ

معرفةً بالله، وعبوديةً له، وطلباً دائماً للهداية